ابستيمولوجيا الأنشطة البدنية والرياضية لدى بيار بارلوبا:

الابستيمولوجيا تحليل نقدي لأنظمة المعرفة وتطورها وبنياتها وطريقة عملها، إن المواصفات الأساسية لمختلف الأعمال التي تستدعي الابستيمولوجيا توضع في منظور نقدي، وفي أفق الشك في المعارف.

بالنسبة للتربية البدنية والرياضية فهو تخصص غير متجانس، أو حقل معرفي متعدد التخصصات، فمن السهل الحديث على ابستيمولوجيا الرياضيات، او التاريخ أو اللغات ... الخ، فهي علوم مستقلة بذاتها ومحددة الموضوع، وهذا ما لا ينسحب على التربية البدنية والرياضية.

تتحدد المكانة الابستيمولوجية للتربية البدنية والرياضية من خلال محاولة الاجابة على الإشكالية الرئيسية المتمثلة في مدى علمية التربية البدنية والرياضية؟ وهل يمكن اعتبارها علما قائما بذاته؟ وهذا يقودنا إلى أسئلة فرعية تتمحور حول الشروط الابستيمولوجية لقيام أي حقل معرفي كعلم مستقل بذاته بين العلوم، ومن هذه الأسئلة: هل للتربية البدنية والرياضية موضوع محدد يكون محور البحث العلمي وانتاج المعرفة؟ وهل هناك منهج بحث علمي خاص ملائم لهذا التخصص يضمن الوصول إلى حقائق علمية ذات مصداقية؟

يقدم بارلوبا مقاربة ابستيمولوجية ويحاول الاجابة عن هذه الأسئلة في كتابه "ألعاب ورياضات ومجتمعات" حيث يقول ليس ميدانيا الأكثر بساطة المفتوح على التفكير والبحث، ولكنه حقل التدخلات العادية لدى الغير، فهي تثير تساؤلات مهمة أكثر من إمكانية تفاديها.

فالتربية البدنية والرياضية نقطة تقاطع العديد من العلوم الطبيعية منها والانسانية، وعليه يتساءل بارلوبا: ألا يتوزع التفكير على مجموعة أهداف غير منطقية؟ هل يمكن جمع هذه الابستيمولوجيات المحلية أو الخاصة بمختلف العلوم المكونة لحقل التربية البدنية والرياضية بسهولة في نظام مركزي موسع؟

حقول التساؤلات متغيرة كثيرا، ما نبحث عنه موجود في بعض الأحيان ضمن منطق الخطوات العلمية وفي أحيان أخرى ضمن تأثير المحددات الاجتماعية، السياسية على تطور المعارف، وأحيانا أخرى على البناء الفلسفي لفرع من الفروع، وأيضا دراسة مختلف التجسيدات العقلانية المطبقة وتعدد المواضيع، وكثرة الأهداف، وتزايد المقاربات.

ويضيف أن هناك من لا يريد الحديث عن بعض الاشكالات الابستيمولوجية إلا بطريقة بسيطة: بالهروب إلى تصورات قديمة لتقسيمات التخصصات والمعارف، تصورات تتجاهل البحوث الحديثة حتى منها علم الحركة.

يقترح بارلوبا علم الفعل وخاصة علم الفعل الحركي هل هذا ممكن؟

ويمثل التربية البدنية والرياضية في مخطط له ثلاثة محاور ابستيمولوجية أساسية وهي:

– محور بيداغوجي: نقصد تحليل مدى صلاحية المفاهيم والخطوات والنتائج التي تساير التربية البدنية والرياضية، ما هي المكانة العلمية لهذا القسم المعرفي؟ ما هي العلاقة بين الممارسة في الميدان والنظريات المقترحة؟ هذه الأسئلة تشير إلى ابستيمولوجية داخلية تعتمد على المضمون نفسه للعلوم المقترحة.

– محور تاريخي اجتماعي: تحت أي تأثيرات ايديولوجية وفي أي سياق الاجتماعي التاريخي تم وضع التربية البدنية، ماهي المحددات العلمية، الثقافية، والسياسية التي تمكننا من اصلاح أصل الممارسات الجسدية، والطرائق الكبرى للتربية الحركية، سواء أثناء وضعها في الميدان أو أثناء صياغتها النظرية؟ وهي ابستيمولوجية خارجية أو التحليل الخارجي، تحليل المظاهر المؤسساتية التي تحكم تطور الممارسات والنظريات: الادماج الاجتماعي للنشاطات البدنية، الهيئة المهنية، مكانة معترف بها، شعب التكوين والتأهيل، توجيهات ايديولوجية وسياسية. (مثلا التوجه العسكري في فرنسا للتربية البدنية بعد هزيمة 1870بهدف الانتقام مثال حي عن هذا الطرح).

– محور وراثي: يمثل مشروع تطوير ابستيمولوجية وراثية للتربية البدنية: ما هي التدابير وتحت أي شروط يمكن للتربية الحركية أن تشارك بطريقة فعالة في التطور المعرفي للطفل؟ يبدو هذا النوع من التحولات قادرا على تسجيل نفسه ضمن الطريقة المنتهجة لأعمال جان بياجه ومركزه العالمي في الابستيمولوجيا الوراثية.

حيث يتوافق أغلب علماء نفس الطفولة على أن ذكاء الطفل ناتج عن تجربته الحركية، فعدة مكتسبات مثل مفهوم المكان، الزمان، السببية تبنى عن طريق النشاط الحركي، ألا يطرح هذا بطريقة جديدة مسألة دور المضمون المحتمل للتربية البدنية في نمو الامكانيات المعرفية للطفل، إن وظيفة سيميائية الحركة والمرتبطة بالعمليات الرمزية خاصة أثناء اللعبة الرياضية الجماعية، نلاحظ أن الطفل أثناء تداخله الحركي مع غيره وأثناء قيامه بعمليات فك الشفرات والتشفير السلوكي يستدعي منه مقدرة عامة على الشرح ما يساعد على نمو العمليات المعرفية، فالسلوكيات الحركية بإمكانها تغذية المكتسبات المعرفية للطفل، وهو أفاق بحث معمق للدراسات الجينية (الوراثية) فيما يخص أثر السلوك الحركي في المعرفة.

2– ابستيمولوجية الأنشطة البدنية والرياضية لدى بيير برليباس (Parlebas):

سعيا منه إلى كسب شرعية الأنشطة البدنية كعلم قائم بذاته بين العلوم حاول تحديد شروط الواجب توفرها لتحوز الممارسات البدنية على علميتها ففكر في تطوير مجال معرفي مستقل يكون هدفه الفعل الحركي.

خاصة وأن برليباس أستاذ للتربية البدنية والرياضية ثم أستاذ جامعي في علم الاجتماع الرياضي وعليه اقترح مجموعة من الشروط الابستيمولوجية والمعايير العلمية لتكريس علمية التربية البدنية وهي:

– ضرورة تحديد موضوعها ومجال بحثها، وهذا الشرط في الحقيقة الأهم ابستيمولوجيا لقيام أي حقل علمي مستقل بذاته.

– ضرورة معرفة المضمون المعرفي المسموح باستخدامه في التربية البدنية وهذا يؤدي بنا إلى البحث في علاقة التربية البدنية بالعلوم الأخرى.

– ضرورة تحديد أهدافها وغاياتها والتحقق من قدرتها على تجسيدها.

– يجب التحقق من امكانية اجراء دراسة تجريبية في مجال التربية البدنية وفي أي شروط يحدث ذلك، وهذا أيضا يؤدي إلى الحديث عن المنهج العلمي الملائم كشرط ابستيمولوجي هام لجعل التربية البدنية والرياضية علم قائم بذاته.

– إجراء دراسة نقدية لمختلف الأساليب المستخدمة في التربية البدنية وفقا لمقاربة تاريخية.

* يضيف بارلبياس أن التربية البدنية تقوم على المعرفة العلمية وأن هناك لجوء مستمرا إليها، فالرغبة في جعل التربية البدنية علما هو أحد مكوناتها، وهنا تكمن المشكلة في أنها مجال "المابين تخصصات" تتشكل من مجموعة من العلوم التي تتدخل لتحديد هويتها العلمية من جهة وتسعى إلى قيامها. كعلم مستقل بذاته من جهة أخرى.

وفي هذا الصدد يقترح بارلبياس علم مستقل أسماه: علم الممارسة لعلم الحركة تطوير نظرية المعرفة لدراسة المعارف المختلفة المستخدمة والمنتجة في مجال التربية البدنية. مع تطوير طريقة خاصة بالنشاط الحركي، وذلك بتحويل السلوك الحركي ووضع قوانين معينة له وممارسة أساليب محددة تتعلق بالتربية البدنية.

3– ابستيمولوجيا الأنشطة البدنية لدى فيغارلوو: (Georges Vigarello):

باعتبار فيغارلو مدير مركز أبحاث تاريخ الرياضة، وكان أستاذ التربية البدنية بإحدى الثانويات الفرنسية حاول التأسيس ابستيمولوجيا للمكانة العلمية للتربية البدنية والرياضية من خلال المقاربة التاريخية، فقام باستقراء تاريخ علاقة التربية البدنية بالعلوم باعتبارها مجال معرفي مشكل من مجموعة من التخصصات، تقوم باستعارة ترسانة من المفاهيم ومجموعة من الطرق والمناهج والكثير من المضامين المعرفية والمحتويات العلمية ثم يتم اسقاطها على

مجال الأنشطة البدنية والرياضية لتأصيل الممارسة البدنية علميا، وإضفاء الشرعية عليها، وهكذا جاء فيغارلوو بالعديد من الأمثلة عن تجاذبات التربية البدنية مع العلوم الأخرى في حقب تاريخية مختلفة وهي:

– النموذج الميكانيكي: وهو شرح عمليات الجسم بنموذج الآلة الميكانيكية كمضخة هيدروليكية، تستند إلى الفيزياء وإلى اكتشاف هارفي للدورة الدموية في عام 1628. وسيستمر هذا النموذج التفسيري حتى بداية القرن التاسع عشر.

– النموذج البيولوجي: تفسير أداء الجسم باستخدام علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وتزامن هذا النموذج مع الثورة العلمية والصناعية في أروبا وتطوير العديد من النظريات العلمية في العلوم الطبيعية.

–ظهور بعض الدراسات التي تربط بين الأمراض العصبية والعجز السلوكي المؤدي إلى الاضطرابات الحركية كشرح هيد في دراسته لطب الأعصاب عام 1920.

– النموذج التفسيري للعلوم الانسانية والاجتماعية للشخصية الانسانية وعلاقتها بالتربية البدنية وخاصة أنها لم تتأسس كعلوم مستقلة إلا في نهاية القرن التاسع عشر.

– دراسات جان بياجيه في علم النفس المعرفي وبداية التأسيس للعلاقة المحتملة بين الأداء الحركي والنمو المعرفي للطفل.

– الاكتشافات العلمية الحديثة التي تربط بين الممارسة الرياضية وصحة الإنسان الجيدة البدنية والنفسية.

وبعد هذه المقاربة التاريخية للتربية البدنية ليفيغارلوو توصل إلى أن خصوصية التربية البدنية تجعلها تستخدم المعرفة العلمية لمختلف العلوم لتوجيه الممارسة، ولا يشترط أن تكون هذه الممارسة في حد ذاتها علما قائما بذاته بل هي فن.

من هنا عرّف ابستيمولوجيا الأنشطة البدنية: دراسة تكوّن المنهج وعمل المعرفة من منظور الفهم والنقد المحتمل إلى طرح الأسئلة حيث يوجد دليل وبرهان وكسر الأسطورة العلمية لحقل الأنشطة البدنية.

وهذا يفسره الجانب العلمي الميداني أو الممارساتي للتربية البدنية بعيدا عن محتوى نظري يشكل موضوع بحث محدد خاص بها على غرار الرياضيات، علم الفلك، أو اللغات وغيرها وعليه فابستيمولوجيا يكون من الصعب الحديث عن ابستيمولوجية الأنشطة البدنية والرياضية كحديثنا عن ابستيمولوجية هذه العلوم.